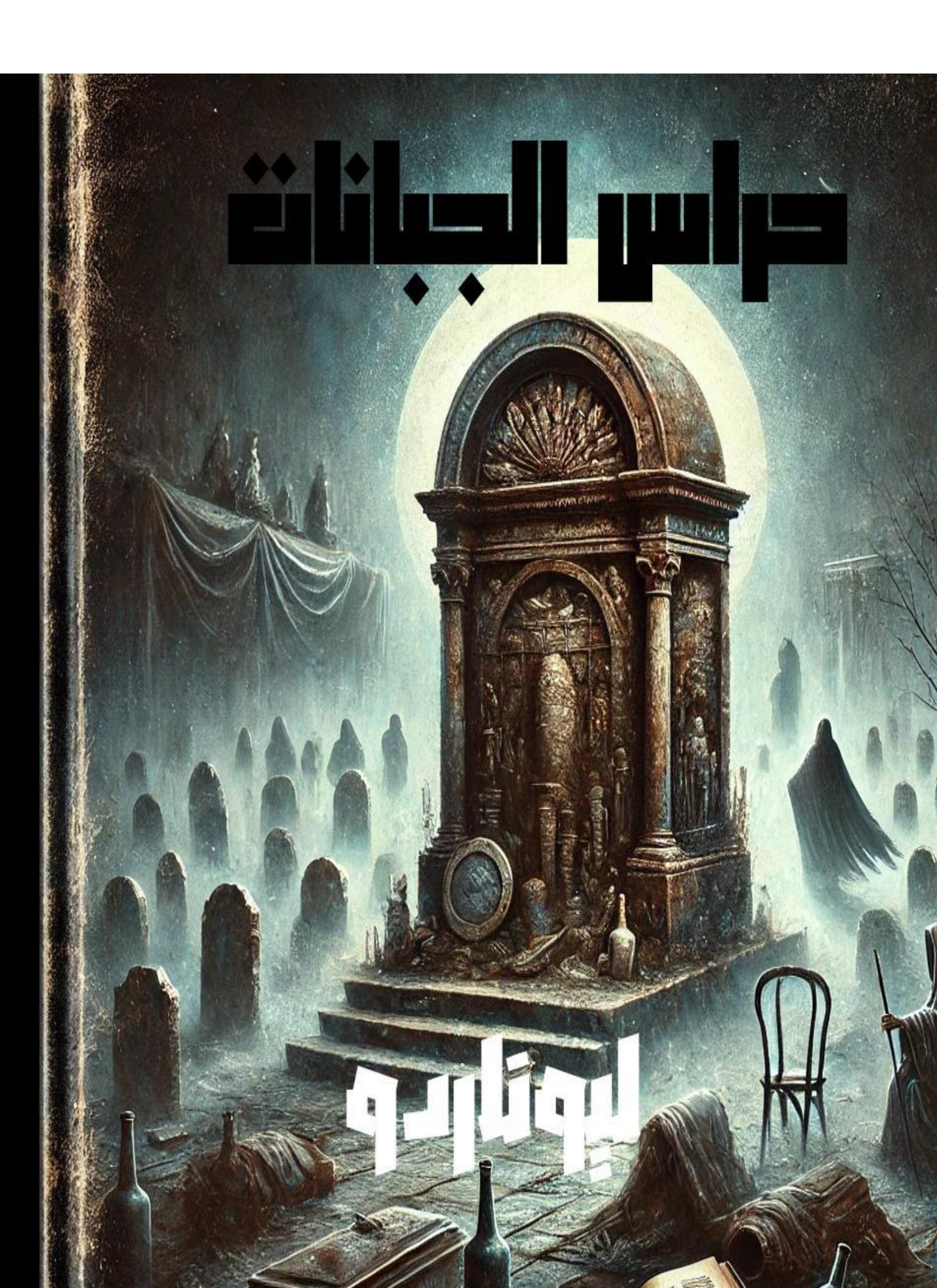

حارس الجبانات
ليوناردو

ليوناردو

إهداء

إلى الموسيقى وسنوات الضياع ولحظة التوتر النادرة ما بين الميلاد والموت

الفصل الأول: "حراس الجبانات"

المشهد: خشبة المسرح شبه مظلمة، تُضاء من وقتٍ لآخر بمصابيح باهتة تتأرجح وكأنها على وشك الانطفاء. في المنتصف، قبر حجري كبير تحيط به مقاعد خشبية متآكلة، تتناثر فوقها أوراق مسرحيات قديمة وصحف مُمزَّقة. على القبر، يجلس المخرج، بوجهه الشاحب ولحيته غير المهذبة، يحمل زجاجة نبيذ شبه فارغة. في طرف الخشبة، يظهر السكير، يدخن سيجارة ويتأمل الجمهور بسخرية.

المخرج: (بصوت خافت، يحدث القبر) أتسمعني؟ أنا أصرخ منذ الأزل.

لكن ما من جواب.

(يرفع زجاجة النبيذ كأنها كأس نخب)

لأجل الساكتين... الحراس الصامتين... الشهود الموتى.

لأجل حراس الجبانات، الذين يحمون الفراغ...

السكير: (مقاطعًا، يضحك بسخرية)

فراغ؟ يا للترف!

أنت تعيش في مسرحية هزلية، يا صديقي، حيث الجبانات مليئة...

مليئة بالأحياء الذين يزعمون أنهم موتى.

المخرج: (يدير وجهه نحوه، ساخرًا) وأنت؟ من تكون؟ حارسًا أم ميتًا أم ممثلًا أضاع نصه؟

السكير:

أنا صوتك، لعلك نسيت.

أنا ظلّك، الواقف دائمًا على حافة خشبتك...

أسخر من نصوصك الرديئة وأصفق لأخطائك الفادحة.

المخرج: (ينظر إلى الجمهور فجأة، وكأنه يكسر الجدار الرابع) هل تسمعون؟ إنه يزعم أنه صوتي!

لكن أي صوت هذا الذي لا يصمت؟

(يشير إلى الجمهور)

هؤلاء... الحُكماء الصامتون.

هؤلاء يعرفون الحقيقة: الجبانات ليست إلا خشبة مسرحنا،

ونحن نؤدي أدوار الحراس... بلا أجور، بلا نهاية.

السكير: (يصفق ببطء وبتهكم)

يا لك من فيلسوف الجبانات!

لكن أخبرني، يا مخرج الجثث...

هل ولدت هكذا؟ أم أن الجبانات علّمتك الحكمة؟

المخرج: (ينهض بتثاقل، يترنح، يقف أمام السكير)
اسمعني جيدًا، أيها الظلّ الساخر.

أنا لم أتعلم شيئًا.

لا الحكمة ولا الجنون...

لكنني أفهم شيئًا واحدًا:

هذا العالم... عبث.

السكير: (مستهزئًا)

آه، العبث العظيم!

ذلك الشعار الذي تردده لتبرر كسلك.

لكن أخبرني، أيها العبثي المتفائل،

لماذا لا تزال تحاول؟

المخرج: (يحدق فيه طويلاً، ثم يضحك بمرارة) لأنني أكره النهاية.

لأنني حارس الجبانات،

وأنا الوحيد الذي يعرف أن الموتى يراقبوننا.

(إضاءة المسرح تخفت تدريجيًا، بينما يواصل السكير والمخرج تبادل نظرات طويلة وصامتة. تتردد أصوات همسات غامضة من الخلفية، كأنها أرواح تتحدث. المشهد ينتهي بظل المخرج والسكير وهما جالسان بجانب القبر، أشباح صامتة وسط عتمة المسرح.)

ستار

الفصل الثاني: "صخب الظلال"

(المشهد: الإضاءة خافتة، تضرب الأرض بقع من الضوء تشبه قلوبًا نابضة. تظهر على الخشبة ظلال متحركة، تتخذ هيئة بشرية لكنها غير ثابتة. القبر في المنتصف يضيء بنور خافت ينبعث من داخله، كأن شيئًا داخله يحاول أن يخرج. المخرج جالس بجانب القبر، يراقب الظلال بحذر. السكير يختبئ في زاوية الخشبة، يعبث بسيجارة مشتعلة.)

المخرج: (بصوت منخفض، وكأنه يخاطب الظلال)

أنتم... يا من تسكنون الجبانات، ماذا تريدون مني؟

هل جئت بالخطأ إلى هذه المسرحية؟ أم أنكم أنتم من كُتب عليكم البقاء هنا للأبد؟

(الظلال تتوقف للحظة، ثم تتحرك بسرعة وتبدأ الهمسات تزداد وضوحًا، كلمات متقطعة مثل "الذكرى"، "الهروب"، "الموت".)

السكير: (يخرج من الظل، يصفق ببطء)

أحسنت يا مخرج الجبانات! حتى الظلال استجابت لمسرحيتك الفاشلة.

لكن قل لي، هل ستكتب لهم دورًا؟ أم أنهم مجرد انعكاس آخر لفشلك؟

المخرج: (بغضب)

اسكت!

الظلال ليست ملكك، أيها المتشرد!

إنهم يشهدون على ما فعلناه... ما كتبناه ولم نقرأه بعد.

السكير: (يضحك بسخرية)

وما الذي فعلناه؟

نحن فقط حراس يا صديقي.

مفتاح القبور في جيوبنا، لكننا لا نجرؤ على الفتح.

(أحد الظلال يتقدم نحو المخرج، يظهر شكله بشريًا بشكل مقلق. إنه يبدو كنسخة شاحبة منه.)

الظل (بصوت خافت):

أنت وأنا واحد...

لكن الفرق بيننا أنني خرجت من القبر وأنت لا تزال تقاوم.

المخرج: (يتراجع بخطوات بطيئة، مصدومًا)

من... من أنت؟

الظل:

أنا ما تخشاه.

أنا الموت الذي يسكنك...

والحياة التي هربت منك.

السكير: (مقاطعًا، يقترب من الظل)

وهل هذا كل شيء؟ يا لك من ظل مبتذل.

كأن الموت لا يكفيه أن يكون موتًا، فيصبح شاعرًا!

(الإضاءة تخفت تدريجيًا، الظل يندمج في القبر. المخرج يجلس على الأرض، يضع رأسه بين يديه. السكير يراقب المشهد، يبتسم بسخرية.)

المخرج: (بصوت خافت)

الموتى لا يسكتون...

حتى بعد دفنهم.

(الستار يسدل على مشهد خافت من الإضاءة، مع استمرار الهمسات في الخلفية.)

الفصل الثالث: "المسرحية الأخيرة"

(المشهد: خشبة المسرح تصبح خالية تمامًا إلا من القبر. الإضاءة مركزة عليه، كأن الخشبة بأكملها تدور حوله. المخرج والسكير يجلسان على أطراف المسرح، وكلاهما يبدو أكثر إرهاقًا. تظهر شخصيات جديدة من بين الظلال: "الكاتب"، "الممثل"، "الناقد".)

الكاتب: (يدخل بحذر، يحمل دفترًا مليئًا بالصفحات الممزقة)

أين النص؟

المخرج، أين النص الذي وعدت به؟

المخرج: (يرفع رأسه بصعوبة)

النص؟
لقد أكلته الأرض.
ما عادت المسرحيات تنتهي، يا كاتب الجبانات.

الممثل: (يقترب، بوجه متعب)
وكيف نمثل إذًا؟
أنا تعبت من الارتجال... أريد دورًا.
حتى الموتى لهم أدوار، وأنت تحرمنا حتى من الصمت.

الناقد: (يظهر فجأة، يضحك باستهزاء)
الصمت؟ لا يوجد صمت في هذا المسرح.
كل شيء صراخ، حتى الهمسات.
لكن أخبروني، هل نحن الأحياء؟
أم أننا أشباح أُجبرت على لعب أدوارنا؟

السكير: (يضحك بقوة، يتوجه نحو القبر)
آه، كم أحب هذه المسرحية!

الجميع هنا ينتظر النهاية، لكن القبر لا يُغلق.
الموت يراقبنا ونحن نمثل.

(الإضاءة تزداد قوة على القبر، ينفتح ببطء ليكشف عن مرآة كبيرة. كل من على المسرح يقترب منها، يحدق في انعكاسه.)

المخرج: (يراقب نفسه في المرآة)
هذا أنا...
لكن من أنا؟

الكاتب: (يلامس المرآة)
أنا من كتب الموتى...
لكنني نسيت كيف أكتب للأحياء.

الممثل: (يبتسم بحزن)
وهذا دوري الأخير...
دور الظل الذي لا يظهر أبدًا.

الناقد: (يضحك بمرارة)

أنا هنا فقط لأقول إن كل شيء عبث.

حتى انعكاساتنا، ليست إلا خدعة أخرى.

السكير: (يقف أمام المرآة، يضحك بصوت عالٍ)

لا، يا رفاق.

العبث ليس النهاية...

العبث هو البداية.

(الإضاءة تخفت تدريجيًا، المرآة تختفي، وتبقى خشبة المسرح فارغة إلا من الظلال. أصوات التصفيق تتردد من مكان مجهول، لكنها تتلاشى ببطء.)

(المشهد الأخير: المخرج والسكير يجلسان على حافة المسرح، يحدقان في الجمهور بصمت. تتردد كلمات المخرج بصوت خافت، كأنها صدى.)

المخرج:

"الحراس لا ينامون...

لكنهم أيضًا لا يعيشون."

(الستار يسدل بهدوء، لتنتهي المسرحية.)